محاضرة 12: مفهوم (الثقافة) في البحوث الأنثروبولوجية

مقدمة:

تدرس الأنثروبولوجيا أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها فتتبع نموَها وتطوَرها، والملاحظ انَ الثقافات البشرية تختلف من إقليم لآخر كما تختلف من عصر لآخر فالعادات وآداب السلوك تختلف من شعب لآخر، والأنثروبولوجيا تدرس (تهتم) بتفسير أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الثقافات الإنسانية لتصل إلى تحديد بناء تلك الثقافات وكيفية أدائها لوظائفها.

مفهوم الثقافة في الأنثروبولوجيا:

الثقافة هي أساليب السلوك التي تكتسب عن طريق التعلَم وهناك أكثر من 100 تعريف للثقافة قام (كروبير) و(كلا كهون) بحصرها، ولعلَ أشهر تعريف للثقافة هو تعريف (السير إدوار برنت تايلور) الذي صاغه في كتابه (الثقافات البدائية) الصادر سنة 1871:" **الثقافة بمعناها الاثنوجرافي الواسع هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع"**

ويبدو أنَ تايلور كان حريصا على أن يكون تعريفه وصفيا وموضوعيا فالثقافة بالنسبة له تعبَر عن كليَة حياة الإنسان الاجتماعية وتتميز ببعدها الجماعي وهي مكتسبة ولا تتأتَى من الوراثة البيولوجية ، وفي هذا التعريف هناك 5 عناصر مهمَة في الثقافة هي: العقيدة ـ الأخلاق ـ الاكتساب ـ الكل المركَب ـ المجتمع.

محتوى الثقافة: أشهر تقسيم للثقافة هو ما أورده رالف لينتون في كتابه (الأساس الثقافي للشخصية) حيث اعتبر أنَ لكل ثقافة مركز مستقر يتكون من عموميات وخصوصيات، ويحيط بالمركز منطقة متغيرة باستمرار سمَاها البدائل.

1 ـ العموميات: هي الأفكار والعادات والتقاليد والتاريخ المشترك والاستجابات العاطفية المختلفة وأنماط السلوك وطرق التفكير التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع وهي تختلف من ثقافة إلى أخرى. واشتراك الأفراد في هذه العموميات ينمَي لدى الناس (روح الجماعة) كما يسميها لينتون.

2 ـ الخصوصيات: هي مكونات الثقافة التي يشترك فيها مجموعة معيَنة من أفراد المجتمع وهي أنواع: مهنية (ما يجمع بين فئة الأطباء مثلا) أو عرقية.

3 ـ البدائل: ما يمكن أن نأخذه من الثقافات الأخرى.

النظريات المتعلقة بمفهوم الثقافة في الدراسات الأنثروبولوجية:

1ـ نظرية الشخصية الثقافية: ترتبط هذه النظرية بكاردينار ورالف لينتون، ومضمون النظرية يتمثَل في أنَه خلال مرحلة الطفولة تتكوَن الشخصية القاعدية وتعرَف بأنَها **مجموعة السمات الخاصَة بكل مجتمع** أمَا الثقافة حسبهما فهي **شكل السلوكيات المكتسبة ونتائجها حيث تكون عناصرها مقسَمة بين الأفراد وتبلَغ لهم داخل مجتمع معيَن.**

La culture est à la configuration des comportements appelés et de leurs résultats dont les éléments composants sont partages et transmis par les membres d'une société donnée (Ralph Linton).

تعليق حول هذا التعريف:

من خلا ل هذا التعريف نستنتج أن الثقافة تتميَز بخصائص أهمَها:

1 ـ الشكل=Apparence générale= configuration

ويقصد به الظاهرة العامَة التي يدركها الإنسان لأوَل مرَة ويسمَيها الألمان Gestalt

مثال: الانجليزي يدرك من طرف الآخرين بأنَه يملك برودة دمFlegme

ويربط الشكل بالاحتياجات وكيفية الاستجابة لهذه الاحتياجات، مثال:

الضغط (الجوع)/ الاستجابة (الأكل)

TENTION (LA FAIM)/ BESOIN (MANGER)

الجوع واحد في كل الثقافات لكن كيفية الأكل تختلف من شخص لآخر (الشكل يختلف باختلاف الثقافة)، مثال: الصيني يستعمل عيدان في الأكل، والأوربي يستعمل الشوكة والسكين.

2 - النتائج Résultats

هي القيم والمعرفة والمواقف والاتجاهات وتكون ناتجة عن التفاعل بين الفرد ومحيطه وهي ناتجة عن التعلَم فكلَما كان التعلَم جيدا وفعالاً كلمَا كان الفرد قيَما، فالثقافة إذن نتيجة نهائية لعملية التعلَم.

3 - التبليغTransmission

الثقافة تبلَغ من فرد لآخر فهي مكتسبة بفضل المحاكاة أو التعلَم، وتسمى مجموع المكتسبات الثقافية بمصطلح النمط:Pattern =Modèle=

ملاحظة: يشير مفهوم النمط الى التناسق بين النشاط والفكر والشعور المتواتر في حدوثه، والنمط الثقافي في مفهوم كاردينر هو النظام، وهناك فرق بين النمط عند الأوروبيين le modèle وعند الأمريكان le pattern

Pattern culturel/ Modèle culturel/ le modèle est rigide

عند الأوربيين	عند الأمريكان
ليس للفرد امكانية التعامل مع الثقافة (النمط صلب)	يعتقدون أنَ الثقافة ليَنة يتجاوب معها الفرد فيكتسبها (نظرية التفاعل الرمزي)
الظاهرة الاجتماعية خارجة عن إرادة الفرد وطاغية عليه (دوركا يم)	المجتمع الأمريكي يركَز على الجمعيات (10 - 20 فرد يلتقون حول موضوع اجتماعي)
الاعتماد على النظريات	الاعتماد على الميدان

ملاحظة: النواة القاعدية القياسية للولايات المتحدة الأمريكية هيKEBUDZ

والمقصود بها المجموعة الصغيرة وهذا المصطلح استعمله (كيرك ليبوين) وهو مصطلح إسرائيلي (المجموعات الاستيطانية في إسرائيل تقوم على أساس ثقافي: يهود مغاربة ـ يهود أوربا الغربية ـ يهود أوربا الشرقية ـ يهود أفارقة...).

2ـ نظرية الاحتياجات: تنسب إلى مالينوفسكي الذي اعتبر الثقافة استجابة للاحتياجات البشرية وتصنَف هذه الاحتياجات إلى نوعين: فيزيولوجية (بدائية أو قاعدية) واحتياجات نفسية (ثانوية). ويقترح تفسيرا عامًا لهذه الاحتياجات فهو يعتقد أنَ الاحتياجات ناجمة عن ضغوطات تولَدها فتخلق حوافز وهذه بدورها تعطي سلوكيات.

ضغوطات/ احتياجات/ حوافز/ سلوكيات.

Tentions/ besoins/ motivations/ comportements.

ويصَنف مالينوفسكي الاحتياجات الفيزيولوجية إلى 4 احتياجات هي: الاحتياج للأكل (ضغط الجوع) ـ الاحتياج للراحة والنوم (ضغط النعاس) ـ احتياج الابتعاد عن الألم (الأفراح) ـ الاحتياج الجنسي (الزواج) وهذه الاستجابات هي مؤسسات اجتماعية.

أمَا الاحتياجات النفسية فهي: الأمن ـ الاستجابة العاطفية ـ التجديد، ويرى أنَ الاحتياجات النفسية تطغى على الاحتياجات الفيزيولوجية (الإضراب عن الطعام).

التطبيقات الخاصة بنظرية الشخصية الثقافية: (أصولها في الدراسات الميدانية).

1 ـ دراسة روث بيني ديكت: قارنت بين مجتمعات بشرية مختلفة من بينها قبائل في المكسيك وغينيا الجديدة والساحل الشمالي الغربي لأمريكا، وتزوَجت من رؤساء قبائل حتى تستطيع الدخول إلى المجتمعات التي تنوي دراستها، وفي دراسة شهيرة قارنت بين قبيلتي (كواكيوتل) و(زوني) وتوصَلت إلى نتيجة مفادها أنَ القبيلة الأولى يتميَز أفرادها بشخصية ليَنة (معتدلة) والثانية يتميَز أفرادها بشخصية مبنية على الصراع بين الأفراد والمجموعات التي تشكَلها (الإفراط والمغالاة).

Kwakiutl = personnalité douce et sobre = apollinienne.

Zunis= personnalité dionysienne

(**La plupart des individus sont façonnes à la forme de leur culture à cause de l'énorme malléabilité de leur nature originelle ils sont**

plastique à la forme modélisatrice de la société dans laquelle ils sont nés. (Rud Benedict)

2 ـ دراسة مالينوفسكي: استقرَ مالينوفسكي في جزر (التر وبريانLes Trobriands

واهتمَ بدراسة ميدانية تستهدف دراسة عقدة أوديب عند فرويد وقد نقد عالمية هذه العقدة مثلما تكلَم عنها فرويد لأنَه استخلص من دراسته للقبائل المحلية التي عاش في وسطها انعدام عقدة أوديب داخل هذه المجموعات لأنَها لا تتوفَر على المؤسسات الضرورية لوجودها (الأب ـ الأم ـ الطفل) فالأب غير متواجد مع الأسرة ويعوَضه الخال.

مفهوم الثقافة عند التيار البنيوي:

بالرغم من تعدد التعاريف الخاصة بمفهوم الثقافة والنظريات المفسَرة لها إلاَ أنَها اتفقت جميعها على المقابلة بين الطبيعي والثقافي وبين ما هو بيولوجي أو فطري وما هو مكتسب اجتماعيا، كما أنها كانت محكومة بنزعة عنصرية استعلائية من خلال ترتيبها للثقافات ترتيبا تفاضليا كانت المرتبة الأولى فيه للثقافة الغربية على حساب الثقافات الأخرى، ولقد كان لبروز التيار البنيوي في منتصف القرن الماضي دورا مهما في تغيير مفهوم الثقافة.

إنَ التعريف البنيوي للثقافة يقوم على اعتبارها منظومة تشمل كل المجتمعات وفي هذا المجال يقول ليفي شتراوس **"كل ثقافة يمكن اعتبارها مجموعة من الأنساق الرمزية يأتي في طليعتها اللغة وقواعد الزواج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين كل هذه الأنساق ترمي إلى التعبير عن بعض مظاهر الحقيقة المادية والحقيقة الاجتماعية وأكثر من ذلك تعبر عن العلاقات القائمة بين هذين النوعين من الحقيقة أو بين الأنساق الرمزية"**[1] إنَ هذا التعريف عمل على تأكيد وجود نقاط قاعدية مشتركة بين كل الثقافات.

الخاتمة:

يعتبر موضوع الثقافة من أكثر الدراسات تعقيدا فقد تمَت دراسته من خلال مناهج مختلفة توصلت إلى نتائج متنوَعة، ولهذا عرف مفهوم الثقافة وجهات نظر مختلفة ابتداء من التعريف التأسيسي لتايلور وصولا إلى تعريف البنيوية وكلود ليفي شتراوس.

[1] كوسة نور الدين **مفهوم الثقافة في البحوث الأنثروبولوجية قراءة في سياقات النشأة ومسارات التداول**، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العددان 7،2018/6، ص 507